الشفاعة فى الآخرة للعصاة حق

ولكن على خلاف ما يفهم كثير من الناس

بقلم الأستاذ الشيخ محمد العربى الخطيب

الأستاذ بالمعهد الدينى بتطوان

شفاعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ثابتة بلا خلاف ، وكذلك شفاعة حملة القرآن العظيم ، والصالحين من العباد بما هو مبين فى السنة بأتم بيان ، إلا أن كثيراً من الناس يقيسون — بطبيعة الحال — شفاعة المذكورين فى الآخرة لدى رب البرية جل جلاله على شفاعة الدنيا ، من ذوى الوجاهة والرتب الدنيوية المزعومة لدى الحكام من البشر على حالتها المعروفة المعلومة . فمن هنا أتى الغلط على كثير من الناس وخصوصاً منتحلى العلم الصناعى للاكتساب وذاك من ضعف ممارسة العلم الإلهى ، أعنى الكتاب والسنة للتخلق والإتباع .. الشفاعة فى الآخرة حلة يلبسها الله تعالى من يشاء من عباده إكراماً وتفضيلا من غير اختيار لها من أحد البتة سوى الله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » ... « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » ويُحدّ سبحانه أيضاً لمن أذن له فى الشفاعة أن لا يشفع إلا فيمن أذن له أن يشفع فيهم ، فلا تقبل شفاعته على فرض طلبها فيمن لم يؤذن له أن يشفع فيهم ، وهو قوله سبحانه : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » وقال جل جلاله : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » وقال : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » . فأمر الشفاعة حينئذ ، وشأنها فيمن يكون لها أهلا من شفيع ومشفع فيه ما عدى المنصوص عليه بالسنة ، غائب عنا ، ولا يمكن لنا الإطلاع عليه فى هذه الدار البتة ، إنما أمرها أجمع إلى الله تعالى وحده لا شريك له كما قال جل جلاله : « قل لله الشفاعة جميعاً »

فليس لأحد أن يعيش شفيعاً له فى هذه الدنيا بما يزعم هو بنفسه أن يكون له شفيعاً ، فتعالى الله أن يكون قضاؤه فى الآخرة ، وهو أحكم الحاكمين على هذا النسق بل هو سبحانه أحد ليس كمثله شىء . فى نفسه وصفاته وأفعاله فله الإختيار المطلق والقضاء المطلق كما قال سبحانه : « وربك يخلق ما يشاء» ويختار (يعنى ما يشاء) ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » ، فلم يبق لأحد من خلقه وعبيده إلا أن يحافظوا المحافظة التامة على اتباع نهجه وسبيله فى الأقوال والأفعال والمعتقدات من غير أن ينحرفوا انحرافا ما بادعاء تحسين أو إصلاح أو تقرب كما قال جل جلاله : « وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وأن هذه هى الوسيلة المقربة إلى الله وإلى نيل الشفاعة فيما عثر فيه الإنسان أو هفا عنه ، فلم يبق إلا قوله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ... « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .. « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .